اتخاذ أشباه العلماء والدراويش أربابًا

يقول تعالىٰ في كتابه العزيز: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١]. ذلك عن اليهود، والنصارىٰ، والحبر عالم اليهود، والراهب من طبقة العباد من النصارىٰ.

أخرج الترمذي عن عدي بن حاتم، قال: «أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: «**يا عدي، اطرح عنك هذا الوثن**» وسمعته يقرأ في سورة براءة: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة التوبة: ٣١] فقلت: أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم. فقال عليه الصلاة والسلام: «**أليس كانوا يحرمون ما أحل الله تعالىٰ فيحرمونه، ويحلون ما حرم الله فيستحلونه؟**» فقلت: بلىٰ. فقال: «**ذلك عبادتهم**»[(١)].

قال في الدر المنثور: أخرج هذا الحديث الترمذي وحسنه، وابن سعد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في سننه[(٢)]، وذكر الحافظ ابن كثير أنه أخرجه أيضًا أحمد.

قال في روح المعاني: الآية ناعية علىٰ كثير من الفرق الضالة الذين تركوا كتاب الله تعالىٰ وسنة نبيه لكلام علمائهم ورؤسائهم، والحق أحق بالاتباع، فمتىٰ

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: تفسير القرآن، برقم: (٣٠٩٥)، من حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني في غاية المرام (٦).

(٢) **صحيح:** صحيح سنن الترمذي (٣٠٩٥).

ظهر وجب علىٰ المسلم اتباعه وإن أخطأه اجتهاد مقلده. اهـ.

وقال الربيع: «قلت لأبي العالية: كيف كانت تلك الربوبية في بني إسرائيل؟ فقال: إنهم ربما وجدوا في كتاب الله ما يخالف أقوال الأحبار والرهبان، فكانوا يأخذون بأقوالهم، وما كانوا يقبلون حكم كتاب الله تعالىٰ».

والآن وقد توضح لديك فهم الآية الكريمة، فاليهود والنصارىٰ لم يسموا علماءهم ولا رهبانهم أربابًا. ولكن ليس المهم في الاعتقاد ما تسمىٰ به، وإنما المهم ذلك الشعور النفساني الذي تموج به نفسك نحو من تطيعه أو تعظمه.

فأنت إذا عاملت شخصًا بما هو حق خاص للرب فقط كالذل والحب وناديته حتىٰ بيا عبدي، فقد جعلته - رغم ذلك - ربًّا لك. فكثير من الجهلاء يقولون: إن عباد الأصنام سموها آلهة. أما نحن فنسميهم أولياء !! ليست التسمية بفيصل بين الشرك والتوحيد، ولكن الاعتقاد ونوعه في ذات المسمىٰ هو الفيصل.

واعتقاد عباد الأصنام فيها واعتقاد عباد الأولياء فيهم واحد، وإن اختلفت التسمية، الأصنام وسطاء وشفعاء، والأولياء كذلك، فلا فرق بين الشركين. وهؤلاء هم اليهود وأولئك هم النصارىٰ ما سموا علماءهم ولا متصوفيهم أربابًا، ولكن الله دمغهم بأن جعلهم ممن اتخذوا بعض البشر أربابًا، لا لشيء إلا لأنهم عاملوهم معاملة الأرباب، وهي التقديس والتعظيم والطاعة الكبرىٰ لهم، ولذلك قال لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [آل عمران: ٦٤] بتقديم فتاويهم في الدين علىٰ كتاب الله.

وأنت - رَحِمَنِي اللهُ وإياك - لو أَجَلْت النظر في الأمم الإسلامية؛ لرأيتهم في

شر مما وقع فيه اليهود والنصارىٰ، فلا تجد منهم - إلا من عصم الله وقليل ما هم - من حجته كتاب الله أو سنة رسوله، بل تجد من حجته الدردير أو الخرشي أو القدوري أو أبو شجاع... ويا ليت أولئك المقلدين كانوا من العامة، إذن لعذرناهم بجهلهم ولكنهم من سادة العلماء. حتىٰ إذا جبهتهم بأن في كلام شيوخهم ما يخالف القرآن والسنة صاحوا في وجهك: ومن أنت حتىٰ تستنبط من كتاب الله حكمًا لك في دينك؟! في حين أن الله يقول: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: ١٧]، ويصف الله القرآن بأنه: ﴿بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٨] والناس فيهم لفظ عام لكل إنسان.

